

الممارسة الثقافية في الوسط الأسري
بين التأصيل و مداخلات العولمة وتكنولوجيا المعلومات
د / سوسن المليتي _باحثة فى الاعلام والاتصال_
جامعة طيبة - المدينة المنورة

مقدمة

شهدت الأسرة العربية عامة تغيرات ملموسة في العلاقة بين أعضائها و خاصة فيما يتعلق بدورها في عملية التنشئة الاجتماعية المرتبطة بمسألتي التكيف الاجتماعي والثقافي والمتعلقة بمفاهيم ثابتة ومتحولة كمفهوم الهوية و الممارسة الثقافية نتيجة ثورة الاتصال المتواترة في مسار تقدمي و تصاعدي أدى بطريقة مباشرة وغير مباشرة لخلق صراع بين قيم الأصل المتجسدة في مؤسسة الأسرة كنواة أولية للتطبيع الإنساني وما يتلقاه الأبناء والشباب بصفة أخص من ممارسات ثقافية واجتماعية جراء عملية التفاعل مع محيطهم.

لذلك فإن الإحاطة بدراسة مؤثرات الاتصال من زاوية علم الاجتماع لتتبع ورصد أثارها الفردية والاجتماعية في حياة أفراد الأسرة داخل هذا الوسط الأسري شأنه أن يحدد لنا الملامح العامة وأشكال العلاقات بين الأجيال ما دام هذا الإنسان على حد تعبير العلامة عبد الرحمن ابن خلدون "مدني بطبعه". حيث عملية الاتصال الاجتماعية التي تنقل بواسطتها جملة الأفكار والمعلومات بين الشباب داخل النسق الاجتماعي في إطار ثقافة العولمة و استمرارها مؤقتاً بانتقال الرموز بين الأفراد هو "الاتصال والتواصل عند حدوث اتساع في المجال الانتشاري للمعلومات في مجتمع المعرفة نتيجة لتطور وسائل حديثة للاتصال كالانترنت والأقمار الصناعية والنقل وغيرها ما يدفع فئة الشباب لمواجهة أشكال متعددة من الثقافات.

فلم تعد التنشئة الاجتماعية socialization هي نقطة الانطلاق الأساسية في إعداد أفرادها للحياة الاجتماعية بل إن تدخل أجهزة و مؤسسات أخرى مهد لوجود ثقافات فرعية أثرت على سلوكيات الشباب وتمثلاتهم وخاصة لدى الشبان في إطار البحث

عن أشكال جديدة للعلاقات مثل الصداقة خارج إطار الأسرة مما يتسبب في خلق اضطرابات مستّ العلاقات الاجتماعية داخل الوسط العائلي.

لقد أثر هذا بشكل ملحوظ على مستوى إحساس الفرد بالانتماء لقيم مستحدثة على حساب التمسك بالهوية على أنها " توافقاً يقوم به الفرد لبناء مختلف مظاهر شخصيته سواء كانت حالية أم ماضية أو مستقبلية. فالتاريخية تطبّع الجماعة بطابعها على مدار تاريخ الجماعة لتخرج في شكل عادات وسلوكيات تدخل ضمن التراث الثقافي حيث تواجه اليوم تحديات كبيرة من جراء زحف العولمة بمختلف أشكالها وخاصة المنبثقة من العولمة الثقافية المتأثرة بمجتمع المعرفة.

لقد تحوّل العالم قرية كونية يُراد له الانصهار في هوية عالمية جديدة مهيّدة لولادة ثقافة جديدة سواء في شقها النظامي لصالح المؤسسات الرسمية أو في نسقها الشعبي الذي ينبثق من تفاعل الأفراد مع محيطهم في إطار الممارسات الثقافية المتعددة لترشح مقولة " عصر الصورة" التي تنسم بالانجذاب إليها بشكل ملحوظ (نت، فضائيات وغيرها).

- إن الممارسة الثقافية في الوسط الأسري في ظل مجتمع المعرفة وارتباطها بمسألة التغير يعتبر مدخلاً هاماً لتسليط الضوء على فهم العلاقات بين الأجيال التي باتت تهز كيان الأسرة العربية بشكل عام والتطور السريع الذي أحدث خللاً في التوازن العلائقي - النفسي الاجتماعي في عالم جد متحول- بين الأجيال وخاصة لدى الشباب العربي بصفة عامة بصفة خاصة على اعتبار أن هذه الفئة تشكل وزناً ديموغرافياً هاماً فمن المتوقع أن يكون مع حلول سنة ٢٠٢٠ ميلادي ١٥ مليون فرد أعمارهم أقل من ٢٠ سنة وفقاً لتوقعات عالمية لسكان العالم؟

وأن نسبة ٤٢% من سكان هذه المنطقة دون ١٨ سنة بحسب تنقيح عام ٢٠٠٨م لمكتب اليونسيف بالخليج^١، وهذا يجعلنا نؤكد على أن الشباب الأكثر اقتداراً في الانخراط في ظل المنظومة الجديدة التي بدأت تتشكل رهاناتها في العديد من المجالات الاجتماعية المختلفة، تظهر ملامحها على أنماط السلوكيات في اتجاه التكيف مع متطلبات المرحلة. فمرحلة الشباب كأى مرحلة من مراحل حياة الإنسان لها

صفاتها التي تميزها من سمات شخصية انفعالية وعقلية وتخضع هذه المرحلة لتغيرات حضارية وزمنية لا يستهان بها.

- فالى أي مدى يمكننا تحديد مسألة الممارسة الثقافية لدى الشباب في الوسط الأسري في إطار التحولات العلمية المعرفية الهائلة والتي تؤثر على مستوى العلاقات و الثقافات بين أعضاء الأسرة؟

- هل التنشئة الأسرية مازالت تحافظ على كيانها في الرقابة؟

- وهل الاندماج الاجتماعي والثقافي في المنظومة الكونية من شأنه أن يحافظ على التوازن العلائقي والنفسي بين أعضاء الأسرة المعولمة؟

لقد أحدثت تكنولوجيا الاتصال المعاصرة تحولات عميقة على المستوى التنظيمي والعلاقات المشتركة في حياة الفرد والجماعة وهذا أمر حتمي جراء العولمة التي أصبحت الإطار الذي يفرض أن تتحرك فيه و تتأثر به كل المظاهر المجتمعية على المستوى المحلي والإقليمي.

العولمة و التحديات أمام "الأسرة المعولمة":

- لقد باتت العولمة ظاهرة إعلامية وثقافية عالمية لا مفرّ منها جعلت العالم يتحول إلى قرية كونية دفعت المجتمعات إلى ضرورة إعادة هيكلة واقعها للتكيف مع متطلبات المرحلة. وتسبب هذا في إحداث إشكالية انخراط الشباب العربي بالاستيعاب والتكيف مع وجود ثقافات فرعية جديدة وجعل الأسرة المعولمة اليوم تواجه تحديات حقيقة على مستوى التعامل مع متطلبات الجيل الجديد.

أن وسائل الاتصال الحديثة الطاغية على الأشكال التقليدية تفرض على الأسرة مراجعات عميقة لمسارات اجتماعية في التنشئة التي كانت من اختصاصها كمؤسسة تاريخية عريقة في تربية الأجيال لصالح مؤسسات أخرى على غرار شبكة الانترنت وتعدد الوسائط في خلق ثقافة أو ثقافات فرعية لفئة الشباب الأهم في التركيبة السكانية. فقد أصبح أفراد هذه الفئة يمثلون شريحة اجتماعية لها ثقافة فرعية لها لغة خاصة بها تتواصل من خلالها. و لعل هذا كله يعود إلى عوامل من أبرزها:

- ١ - تأثير الثورة العلمية والتكنولوجيا (الإنترنت – الأقمار الصناعية) التي تتجاوز الحدود الجغرافية في خلق نوع من العلاقات بين الإقران.
- ٢ - الهروب من الواقع في ضوء تفاقم نسب البطالة.
- ٣ - انتشار ما يسمى بالأسرة "النواة".
- ٤ - خروج المرأة للعمل.

"بالرغم من حداثة ثورة الاتصال فإنها نجحت في إحداث تغييرات جذرية على مستوى الممارسات الثقافية للمجموعات والأفراد". إذ لم تعد التنشئة الاجتماعية حكراً على مؤسسة الأسرة. فلقد لعبت أجهزة الإعلام ووسائل الاتصال الأخرى كالإنترنت وانتشار الأقمار الصناعية والهاتف النقال دوراً في استقطاب وفي احتضان فئة الشباب والمراهقين ، مؤدياً ذلك الى نقص في التواصل بين أفراد الأسرة واستعمالهم لرموز شبابية خاصة به.

فالاصطلاح السوسيولوجي لانتشار الرموز بين الأفراد هو " الاتصال والتواصل". أي انتقال المعلومات والأفكار والاتجاهات والعواطف من شخص لآخر ومن جماعة إلى جماعة². فعملية الاتصال هي العملية الاجتماعية الأساسية في البيئة الأسرية الخاصة والاجتماعية العامة. ان انتشار الفضائيات في كل البيوت لتشمل المناطق الريفية والحضرية قد ساهم خلق هوة فاصلة بين الآباء والأبناء قلّصت من فرص التواصل بين أعضاء الأسرة بسبب الانفتاح على القنوات الأجنبية التي تسمح لكل أفراد العائلة باختلاف فئاتهم العمرية باستهلاك المادة الثقافية المعروضة بحسب أذواقهم وميولاتهم تاركين فراغاً في "مجال" قيام حوار عائلي يُناقش (مشاغل الأسرة – ميزانية العائلة – كيفية التعامل مع الطفل أو المسن وطرح مسائل تخص الدراسة وغيرها).

"الثورة في الثقافة وفي المعلومات وفي أنماط الاستهلاك التي أحدثتها الحداثة في المجتمعات العربية قد أفرزت ثورة صامتة في القيم والاتجاهات وفي المهارات التي يحتاجها الأفراد"³.

تعتبر الأسرة النظام الاجتماعي الوحيد الذي عرفته المجتمعات لنظم العلاقات. ولكنها بدأت اليوم تفقد وظائفها التربوية و التنشئة لصالح وسائط حديثة ومؤسسات أخرى

استلهمت ممارسات ثقافية جديدة للشباب، قلصت من رقابة الأولياء وأضعفت من سلطتهم المعيارية ببنى الأسرة قيماً تتسم بالمرونة المفرطة والحرية الزائدة التي توسم سلوكيات الشباب بتصرفات خارجة عن العادة مثل: عنف لفظي، وصمت عن بعض السلوكيات كمغادرة الأبناء (١٨-٢٥) سنة من الذكور للمنزل ولا يعودوا إليه إلا في ساعات متأخرة من الليل، وأحياناً في الصباح دون أي تحاور من طرف رب العائلة في أغلب الأحيان. وهكذا تسير الأمور عادية في صمت.

وهذا يشير الى دخول أنماط سلوكية غريبة عن الأسرة العربية بصيغة ثقافة جديدة في التعامل بين أفرادها من سلوكيات التحرر من الضبط الاجتماعي بحسب مصطلح عالم الاجتماع إميل دوركايم. وتصبح الأسرة مرآة فضاء يحوي كل التغيرات القيمية الطارئة مقارنة بالمجتمع الكلي. والنتيجة؟ تحرر الفرد من القيود القيمية الضابطة لتوازن الأسرة نتيجة لتغير الواقع المادي والرمزي داخل الوسط الأسري "المتصدع" وفقدان العائل المعولم إن صح التعبير واحتواءه لعملية التنشئة الجديدة في واقعها المتحرر وخوفاً من التصادم بين الجيلين المتمثل في الآباء والأبناء.

وهذا ما يفسر تزايد الاهتمام بإشكالية التواصل العلائقي بين أفراد الأسرة في إطار العديد من المؤتمرات والمنابر والدراسات ، ونجد من بين أهم الدراسات التي تناولت هذه الإشكالية :

- " الصراع القيمي بين الآباء والأبناء وعلاقتها بالتواتر النفسي"، المركز القومي للبحوث.

- " الأسرة والطفرة والشباب"، معهد الإنماء العربي لعلم اجتماع الأسرة.

مما يؤشر لقيم جديدة تؤثر في بروز ممارسات ثقافية تنم على تغلغل ذهنية جديدة مرتبطة بمضامين الحداثة إذ أن فئة الشباب هي الأكثر انخراطاً في المجال الثقافي المعولم حيث هناك مشكلات فرعية لتشكل القيم، قيم مركزية تدور حولها وفي حقلها قيم تابعة تؤثر على شبكة العلاقات وأشكال التربية المجتمعية.

وإلى أي طريق تسير هذه الأنماط السلوكية الجديدة داخل الوسط الأسري؟

هل تمهد لوجود أنوميا بالمعنى الدوركايمي " عزز المجتمع عن تجسيم سلطة الجماعة الضاغطة على الأفراد⁴ .

من هنا يمكننا أن نلامس الواقع بتهديد العولمة الثقافية للقيم المتعلقة بالدين الإسلامي التي تدعو إلى التكافل والوحدة (المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى) وإلى احترام كبار السن.

تواجه الأسرة اليوم تحديات خلال مسيرتها في عملية تربية الأبناء والحاجة إلى إيجاد التوازن النفسي والاجتماعي داخل الوسط الأسري نتيجة لتدفق تكنولوجيا الاتصال وتعدد الوسائط التثقيفية حيث يعيش الشباب ازدواجية في الشخصية كما وضحاها الدكتور يوسف ادريس "العربي كسفينة جزء منه فوق الماء ظاهر للعيان وجزء تحت الماء لا يراه أحد".

و لعل هذا مؤشر لامس نزعة الآباء في تأصيل القيم العربية والإسلامية (كاحترام المُسنّ- الجار – نبذ العنف اللفظي) والتنبيه لما قد تنصبه العولمة الثقافية من شرك وفخاخ ومخاطر انزلاق الشباب نحو قيم التغريب والتهميش (زعزعة ركائز الهوية الأم). ومن هنا تولد إشكالية الذوبان في ثقافة الآخر دون التفتن الى خطر زحف قيم غريبة لا تمت بصلة للقيم الإسلامية المستمدة من القرآن والسنة، الأمر الذي قد يسبب حدوث صراع بين الأجيال (تمثل الشباب لثقافة الآخر وتنامي شعورهم بالفصل الزمني بينهم وبين الجيل الذي سبقهم، ونعت الجيل السابق بالفكر المحافظ الى حدّ الإنغلاق، و رفضهم بالتالي الوصاية والرقابة.

فيندفع الجيل الجديد إلى ردود فعل في محاولة لإثبات الذات عبر خلق واقع جديد لسدّ هذا الفراغ العاطفي والتواصلي مع الأولياء) أدّى الى جنوح قسم كبير من الشباب الى اختلاق واقع افتراضي خاص بهم تتيحه وسائل التكنولوجيا الحديثة في مجالي الإتصال والمعلومات، "بالتعبير واستخدام التكنولوجيا الرقمية في محاكاة الواقع لأهداف عديدة سواء كان هذا الواقع حقيقيا أو وهميا خياليا"⁵.

وقد أدّى ذلك الى اكتساح هذه الثقافة الجديدة حياتنا وبيوتنا مؤثراً بالتالي بشكل كبير على العلاقات بين أفراد الأسرة وأصبح الشاب يعيش ازدواجية في ملامح شخصيته بين قوى الجذب الجديدة المغرية و الانفلات من الرقابة الأسرية .

وكشفت دراسة حديثة حول استخدامات الانترنت في المملكة شهد ارتفاع انتشار خدمة الانترنت لتصل إلى ما نسبته ٣٦% من السكان خلال عام ٢٠٠٨م مقارنة بـ ٣٠% في عام ٢٠٠٧م مؤكدة ان ٤٩% من المساكن السعودية يوجد بها حاسب آلي أو مكتبي أو محمول للتوجه نحو مجموع الرفاق عبر شبكات الإنترنت و خلق عوالم اجتماعية مختلفة (social universe.(univers-sociaux)

- نزوع الشباب إلى ابتكار " لغة خاصة " بهم تزيد في تعميق الهوية بينهم وبين محيطهم. يعجز الأولياء على فك رموزها ودلالاتها وحصول عزلة في حياتهم بالرغم من أن التواصل مع الغير نزعة متصلة لدى الفرد، ومما قد يفسر ذلك انخراط الشباب في ما يسمى بالجماعات الخائلية عبر شبكة الانترنت التي تتوسع يوماً بعد يوم (دراسة أجرتها مجلة انترنت العالم العربي في منتصف عام ١٩٩٩ أثبتت أن متوسط أعمار مستخدمي الانترنت في البلدان العربية بلغ ٢٩.٩% سنة).

فإن كان استخدام المواطن في البلدان الغربية لشبكة الانترنت ناتج عن شعوره بالعزلة الاجتماعية على صعيد العلاقات الشخصية ومحاولته ربط صلات افتراضية فإن الظاهرة في البلدان العربية تميل إلى بحث الشباب عن التسلية أو المتعة كما يحصل في غرف الحوار وهم بذلك ينزلقون في "مجال" افتراضي أو "واقع افتراضي" يحد من مجالات الحوار والتفاوض بينهم وبين بقية أفراد العائلة حول المشاغل الواقعية الخاصة والعامة.

ولكن مع الحرص بأن تؤدي شبكة الانترنت دوراً ايجابياً ديناميكياً إذ هي تفتح باباً واسعاً على ثقافات الشعوب الأخرى، وجب توخي الحذر من شعارات تحديث الثقافة العربية "التي قد تؤدي إلى تهميش الهوية" المطلوب حمايتها من الانشطار في ظل التطور الهائل والسريع – استخدام الكاميرات والهواتف المركبة ، وجعل هذه الجماعات الخائلية أقرب إلى واقعه (الإبحار في الفضاءات المعلوماتية يؤدي إلى فتور العلاقات مع أفراد الأسرة وإلى انعزال الفرد عن واقعه ومجتمعه وجماعته الفعلية. فالانترنت أصبحت تشكل وسيطاً إعلامياً هاماً لا مفر منه، وإلى أين؟.

ملاح شخصية الشاب بين قوى الجذب والتحرر من السلطة الأسرية: يمثل تحديد مفهوم الشخصية أصعب المصطلحات تفسيراً لأنها تمس البناء الخاص لصفات الفرد

والمرتبطة بأنماط سلوكه التي من خلالها تحدد أشكال تكيفه مع بيئته. فالشباب يبدي رغبته في التحرر من تدخل الآباء في حياتهم ويعتبرونها شخصية (اختيار المهنة أو اختيار القرين) نسبة ٨٥.٧% من الشباب حسب الاستشارة الوطنية التي عقدت بتونس في 2008 "الشباب يخلق لنفسه نظاماً ثقافياً أكثر تفهماً إلى الضغوطات والمتطلبات الاجتماعية الحالية. ومن هنا فإن العائلة تعكس صراعاً: صراع ثقافة الداخل وهي ثقافة الكبار والأولياء، وثقافة الخارج وهي ثقافة الشباب".⁶

- ارتباط الممارسة الثقافية من المنظور السوسيولوجي بمحددات اجتماعية تنحصر في تعامل الشباب مع ما يتاح من مادة ثقافية لا بمعناها الأنثروبولوجي بل بمعنى التعامل مع المادة الثقافية. حيث لم تعد الثقافة اليوم خاضعة لوسائل تقليدية في النشر والانتشار بل أصبحت متأثرة بالتكنولوجيا الاتصالية.

وباعتبار اكتساح وسائل الاتصال الافتراضي مثل الإنترنت في إيجاد بنية جديدة تعتمد المشاهدة والسمع تقضي على فعالية الأشكال القديمة وخلق عالم تفاعلي في تكوين ملامح جديدة للشباب المستهلك لهذه التكنولوجيا. وفي هذا السياق، تشهد شبكة الإنترنت كل يوم إصدار ما بين ٤٠٠ و ٨٠٠ مليون صفحة جديدة بفضل النسخ السريع للتكنولوجيا ووجود نظام مفتوح لاستقبال الإنترنت عن طريق جهاز التلفزة عن طريق محول خاص يتم وضعه وفق جهاز التلفاز.

لقد أصبح الواقع الجديد يحتم أن تكون الممارسة الثقافية مفتوحة وحررة ومعوّلة وصارت الإنترنت وتقنيات الإتصال والمعلومات ثقافة رمزية موازية لثقافة المجتمع المحلي. وباعتبار هذه التقنيات برزت مظاهر الثقافة المعوّلة. وفي احصائية لمجموعة MineWatts بتاريخ مارس 2009 بلغت أكثر من مليار ونصف في العالم بوتيرة متفاوتة⁷.

تمثل الأسرة فضاء داخلياً يختزل كل توترات المجتمع وتناقضاته وكأنها على حد تعبير أندري فورتان: "العائلة هي الملاذ الوحيد، La famille, premier et dernier recours " world-Sola family, first and last cial recur⁸ إذ هي باستمرار تحاول جاهدة تحصين أفرادها من غزو قيم التحرر خاصة أن أشكال التضامن هي آلية في المجتمع التقليدي بصدد التفكك حيث يجد الفرد نفسه ممزقاً

أمام تعدد العناصر الثقافية في إطار الزحف الإعلامي الذي يمارس سلطته على ذهنيات الشباب الذي يحثهم على المزيد من تدعيم السلوك الاستقلالي - فئة المراهقين (١٥-٢٠) سنة يمرون بمرحلة زمنية تشهد تحولات نفسية عميقة تطبع شخصيتهم. فهم الأميل إلى التمرد والتحرر من الضغوط العائلية. ان الإعلام بحسب تعبير عبد الوهاب بوحديبة " ... الإعلام مؤسسة رسمية تمارس شكل الوصاية على الأذهان و الأذواق في مختلف البرامج و المنوعات، فهي تهدد البعض و تمدح البعض الآخر وتنوع الأذهان..."

- إن التغيرات المجتمعية الشاملة للعائلة التونسية وضعت أنماط السلطة الأبوية موضع استفهام (سلطة الأب) بتدخل أطراف أخرى تسهم في تغيير نمط الحياة (المشهد اليومي).

- التوجه نحو مجموع الرفاق عبر شبكات الإنترنت وخلق عوالم اجتماعية مختلفة (univers-sociaux).

ان الفضاءات المعلوماتية المفتوحة والمؤجّهة تحتوي جميع الوسائط الأخرى المطبوعة و المسموعة و المرئية - حيث أن معظم مستخدمي الإنترنت العرب ٨٨ % يستخدمون الإنجليزية و ١٠ % العربية، واللغات الأخرى ١٠ % .

و لكن يبقى التلفاز الوسيلة الإعلامية الأكثر جذباً للجمهور تؤثر على تشكيل الرأي العام حيث تدخل ضمن البرامج اليومية للأسرة "وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري وخاصة المرئية تعمل على تكريس واقع التغريب وترويج قيم ثقافية وسلوكية بعيدة عن خصوصية الواقع"⁹.

ومن بؤادر التراجع في مجال التواصل الاجتماعي المباشر توفير القنوات الفضائية الوافدة حرية اختيار ممارسة الهوايات مما نجم عن ذلك أيضاً حدوث اختلال في أوقات النوم لدى أفراد الأسرة التي تشمل فئات مختلفة من الأعمار (الطفل - الشاب - الكهل - المسن).

- **التحول الوظيفي للأسرة في النسق الاجتماعي؟** افتقدت مؤسسة الأسرة العديد من مهامها الجوهرية فهي مفتوحة بين ثقافات وافدة ومفتوحة. فقد تعددت مصادر المعرفة بحيث أصبحت الأسرة ليست وحدها مصدراً للمعرفة بل شاركها مصادر

أخرى أكثر اشباعاً وشمولاً مما أدى إلى تعدد اللغات كأداة للاندماج في مجتمع المعرفة".

وفي هذا الاطار، فقد تجاوز عدد القنوات التلفزيونية والفضائيات اليوم ٦ ألاف قناة وتجاوز عدد الأقمار الصناعية المشغلة في مجال الاتصالات الإذاعية والتلفزيونية على المستوى العالمي ١٧٠ قمراً اصطناعياً¹⁰.

وانتقل الوسيط المؤسسي للمعرفة الى الوسيط الافتراضي بتوفر الحواسيب الشخصية بشروط وأسعار معقولة- مشروع الحاسوب العائلي- تمكين العائلات التونسية متوسطة الدخل من انخفاض في أسعار الحاسوب العائلي باستمرار واعتمادا على الانخفاض العالمي في تكلفة مثل هذه التكنولوجيات الاتصالية من أجل نشر الثقافة الرقمية بين عامة الناس.

لكن الولايات المتحدة الامريكية بلغت الانجليزية تسيطر على ٩٥% من المساحة المخصصة لأكثر من ١٠٠٠٠ اللغة يتواصل العالم بها ضمن سكان المعمورة. أما اللغة العربية فنصيبها على الانترنت ما يعادل ١% أو أقل بمقابل ما تحتكره أمريكا بنسبة ٩٠% من المعلومات حول العالم بأسره مخزنة لديها وهي أيضاً وراء ٧٥% من المعلومات المتنقلة عبر شبكات الحواسيب عبر العالم.

- **الثقافة باتت تواجه وسيطاً تقنياً بسبب زحف تكنولوجيات الاتصال الحديثة** كما ساهم في ولادة قيم جديدة (تعدد القنوات وتخصصها الأرضية- الفضائية).

" فالى أي مدى تصمد الأسرة في عالم اليوم في ضوء ملامح و الخصائص الديناميكية على المستوى الإقليمي أو المستوى العالمي في ظل العولمة الثقافية الكونية." التي تتجاوز الحدود المكانية وتمتد إلى آفاق بعيدة. فبعد أن تعرفنا على أهم الإشكاليات المطروحة في إطار تحليل مظاهر الممارسة الثقافية في الوسط الأسري بين قيم التأصيل وشرك العولمة، توصلنا للإشارة إلى أن الأسرة اليوم هي أفضل حالاً من العديد من الأسر الغربية من حيث تماسكها الاجتماعي التي تقل كاهلها نتيجة ضغوطات الحياة وفقدان التواصل بين الأجيال.

فقد أثبتت دراسة حول الوقت الذي يستغرقه الآباء في الحديث مع أبنائهم في هولندا لا تتجاوز زمن ذلك أكثر من ١١ ثانية يومياً بينما لدى الأمريكيين ١ دقيقة" ٢٠ وتقتصر

إجاباتهم على أسئلة الأبناء على بعض الجمل المختصرة والسريعة في إطار إجابات سريعة ومقتضبة.

و بالرغم من تدخل الوسائط الإعلامية المتعددة داخل البيت العربي فإن مؤشر تماسك الأسرة ما زال يحافظ على التواصل بين أعضائها بالرغم من الفارق بين أشكال الأسس التربوية والثقافية والقيمية داخل الوسط الأسري. واستناداً للإشارة الشبابية الثالثة تونس نموذج أ فقد عبر الشباب عن شعورهم بالراحة و الطمأنينة في الوسط العائلي بنسب ٧٦.٤% حيث يجدون الراحة التامة للعيش ضمن عائلاتهم وأنهم يبدون رغبة في العناية بالوالدين بنسبة ٩٨.٧% من المستجوبين (تطابق هذا الرأي مع الاستشارتين السابقتين)¹¹

- الاستشارة الأولى : ٨٣.٦%

- الاستشارة الثانية ٧٢%

وحول آليات الاستقرار العائلي والتوازن العلائقي أجاب الشباب المستجوبون:

- الاعتراف بجميل الوالدين في عملية التنشئة ٨١% من الشباب أعدوا دور الأولياء في احتواء الأبناء وقت الأزمات.

- ٨٣% اعتبروا أن الأسرة هي الملاذ الوحيد.

- معطيات الأسرة اليوم غير معطيات الأسرة في السابق فقد تغير حجمها وضاعت حدودها ، فالحادثة مشروع لم يكتمل بعد حسب هابرماس.

- بقدر ما للأسرة من وظائف مباشرة فإن عليها بالقدر نفسه وظائف غير مباشرة،

- أصبح الفرد يتطلع إلى توسيع دائرة الجماعة التي يتعامل معها الفرد ويصبح لديه جماعات يؤثر ويتأثر فيها وبها كأسرة النادي- المجتمع المحلي -

- الأسرة منظومة اجتماعية وقيمة ثقافية وحضارية لا يمكن بأي حال أن تتجمد أو تنعزل عن التأثير بالحركية السائدة في العصر الحالي.

- طبيعة التحديات المطروحة تفرض وضع المزيد من البرامج للعناية بالأسرة ودعم دورها.

- الأسرة أصبحت شبه عاجزة عن فرض رقابتها التقليدية تاركة المهمة لمؤسسات أخرى. وهو الذي يتسبب في حدوث إشكال كبير عندما تتخلى الأسرة عن دورها أمام مخاطر القنوات الأجنبية على تنشئة الأطفال وتوجيههم السليم في إطار عملية تواصل تشمل كذلك المراهقين واعتبار الأسر مدركة أفخاخ لاستهلاك أبنائهم لكثير من الفخاخ التي تنصب لشبابنا عبر شبكة الإنترنت.

فدراسة التوترات الحاصلة في العلاقة بين الأجيال من مشمولات علم الاجتماع باعتبارها ظاهرة تولدت عن التحولات العميقة التي شهدتها هياكل المجتمع التونسي في إطار المؤسسات الاجتماعية والثقافية الأكثر تماسكاً وهي الأسرة التي كانت تتحمل مسؤوليات توجيه الأبناء في مختلف مراحل حياتهم.

ولكن هذا الدور بات في تضال حيث يشعر الشاب بقلق وتوتر ويعيش حالة نفسية فردية تتسم بالمعاناة مما يجعله يرتقى في أحضان مساوئ الممارسات الثقافية (التي تتيحها الإنترنت) في إطار البحث عن ملاذ تشبع ذاته الحائرة والساعية لقطع حيل التواصل مع فكر محافظ وجائم على أنفاسه غير عابئين بقيم التعايش في مجتمع المعرفة والاستفادة من الجوانب الإيجابية بما تتماشى مع القيم العربية والإسلامية".

ان النظر لكثير من علاقات الأبناء مع آبائهم فتجدها علاقات موسومة بالتوتر " وهو ما يدفع لدى هؤلاء ظهور نزعات التطرف عند بعضهم جراء المناخ الخالي من الرباط الوجداني والنفسي داخل البيت الذي تمثله الأسرة كدرع حصين، حسب مفهوم "ابن منظور" لها .

المراجع

- 1 مكتب اليونسيف _ منطقة الخليج ٢٠٠٨م
- 2 الاتصال ونظرياته المعاصرة، حسن مكاي، ليلي السيد، الدار المصرية اللبنانية،
- 3 Bouhdiba (A), la redistribution des roles dans la famille, page 3
- 4 مقال بعنوان غزو واسع للواقع الافتراضي، مجلة العربي العلمي، العدد ٣٥ أبريل ٢٠٠٧ ص ٥٦ و ٥٧
- 5 مصطفى عمر النير، المشكلات الاجتماعية: تحديد إطار عام، الفكر العربي، عدد ١٩، كانون الثاني ١٩٨١، ص ٧-٦٢٤
- 6 وزارة الرياضة، السياسات الوطنية للشباب، منشورات وزارة الشباب والرياضة، تونس ٢٠٠

7 - www.internetwordstats.com Minwatts

Fortin, du André Du voisinage à la communauté ? ” (1988)

8 - عبد الحميد، "الاتصال في مجالات الابداع الفني الجماهيري"، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣

Fortin, du André Du voisinage à la communauté ? ” (1988)

9 - محمد عبد الحميد، "الاتصال في مجالات الابداع الفني الجماهيري"، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣

١٠ - مصلحة الاحصاءات العامة والمعلومات 2010.

١١ - وزارة الشباب والرياضة ، الشباب والرياضة ، تونس ٢٠٠٨